

Strategy
W A T C H



المركز
الإستراتيجي

لماذا قصفت روسيا القوات التركية بآدلب؟



ترجمات

2 مارس 2020

ترجمات



لماذا قصفت روسيا القوات التركية بإدلب؟

نشر موقع "المونيتور" دراسة (28 فبراير 2020)، بعنوان: Turkey's darkest night in Syria (Deciphering) تحدث فيها الباحث (Metin Gurcan) عن تفاصيل العملية الروسية التي أسفرت عن مقتل 33 جندي تركي وجرح نحو 60 آخرين، معتبراً أن يوم 27 فبراير هو اليوم الأكثر كآبة بالنسبة للأتراك في تاريخ تدخلهم العسكري بسوريا، حيث نفذت -في الخامسة عصراً- طائرتان روسيتان من طراز "سو-34"، ومقاتلتان تابعتان للنظام من طراز "سو-22" غارة ضد كتيبة مشاة تركية مؤلفة، قوامها نحو 400 جندي بالقرب من بلدة "البارة" على بعد حوالي 5 كم شمال "كفرنبل" بريف إدلب الجنوبي.

وفي بداية العملية؛ أجبرت ضربة خفيفة القافلة التركية على التوقف، ثم اشتد القصف، ما ألجأ الجنود إلى الاختباء في عدد من الأبنية على جانبي الطريق، وقامت بعد ذلك المقاتلات الروسية بإلقاء قنابل "كاب-1500 إل" الموجهة بالليزر، والقادرة على اختراق 20 متراً من التحصينات، وأدى ذلك إلى انهيار مبنيين يتحصن فيهما الجنود الأتراك، فدفن الكثير منهم تحت الأنقاض، وبلغت الحصيلة الرسمية للقتلى 33 جندياً تركيا، وإصابة 60 آخرين، 16 منهم في حالة حرجة، فيما أشارت بعض التقديرات إلى أن مجموع القتلى قد يبلغ نحو 50 جندياً.

وفي اليوم التالي (28 فبراير)؛ ادعت موسكو أن مقاتلاتها لم تنفذ أية غارة في تلك المنطقة، وتحدثت عن وساطة قامت بها لحمل النظام السوري على وقف إطلاق النار حتى تتمكن القوات التركية من إخلاء القتلى والجرحى، كما ألقت باللائمة على الجيش التركي لتواجهه في منطقة يتم فيها تنفيذ عملية "مكافحة الإرهاب"، متهمة القوات التركية بعدم تقديم معلومات للروس عن مكان تواجد قواتها مسبقاً.

ورأى الباحث أنه بخلاف تلك الادعاءات؛ فإن العملية كانت مدروسة بعناية، ومن الصعب القول أن الروس يرغبون في التراجع عن موقفهم في الأيام المقبلة، خاصة وأن الهجوم التركي المضاد قد كبد النظام خسائر فادحة، ومكّن قوات "الجيش الوطني" من استعادة السيطرة على بلديتي "النيرب" و"سراقب" اللتان تتحكمان بطريقي (M-4) و(M-5) بعد أيام قليلة من إعلان النظام إعادة افتتاحهما، وتلقت القوات الروسية ضربات أخرى تتمثل في؛ تعريض مقاتلاتها الفاعلة في إدلب للخطر الشديد نتيجة تزويد "الجيش الوطني" بمضادات طائرات محمولة على الكتف (MANPAD)، وشن سلسلة هجمات مجهولة من قبل طائرات مسيرة على قاعدة "حميميم" الجوية.

ونقل الباحث عن مصادر عسكرية روسية تعرض مقاتلاتهم بإدلب لنحو خمس عشرة هجوم بصواريخ أرض-جو، ما أدى إلى تضرر بعضها أثناء مناورتها للهرب من نيران الصواريخ التركية، فيما بلغت هجمات الطائرات المسيرة على قاعدة "حميميم" مستويات لا يمكن السكوت عنها، وقررت القوات الروسية نتيجة ذلك ضرب الرتل التركي.

وللإمعان في التنكيل بالقوات التركية؛ رفضت موسكو طلب أنقرة فتح المجال الجوي للمروحيات التركية لنقل المصابين، ما اضطر القوات التركية إلى نقل القتلى والمصابين براً إلى مستشفى "الريحانية" التي تبعد 70 كم عن موقع الحادثة.

وفي ظل الخسائر الفادحة التي مُنيت بها في الخامسة عصرًا؛ تكتمت الحكومة التركية على تلك الحادثة حتى التاسعة مساءً، حيث تباطأت سرعة الإنترنت، وانقطت وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر انتشاراً مثل "واتساب" و"تويتر"، وذلك لتمكين الرئيس التركي من الإحاطة بتفاصيل العملية، وترتيب لقاء أمني طارئ لتحديد الجهة المسؤولة وتقييم مستوى رد الفعل، ومن ثم إلقاء المسؤولية بكاملها على قوات النظام، وذلك في إشارة إلى عدم رغبة أنقرة في قطع العلاقات مع موسكو، وتزامن قطع خدمات الإنترنت مع تعهد مدير التواصل للرئاسة التركية، فهيم ألتون، بالثأر من "النظام المجرم" وعدم سحب القوات التركية من إدلب، بينما نشر الجيش التركي في الإعلام الرسمي مقاطع استعراضية تُظهر عملياته الانتقامية ضد قوات النظام.

وبناء على تلك الأحداث؛ رأى الباحث أن أنقرة قد دخلت فعلياً في حرب تقليدية ضد النظام، إلا إنها لا تزال غير معلنة، وذلك سعياً من أردوغان لتفادي اندلاع مواجهات مباشرة مع الروس، معتبراً أن إلقاء اللوم على النظام يهدف إلى إبقاء قنوات الحوار مفتوحة مع موسكو التي لا تبدو راغبة بالتهدئة في الوقت الحالي، ويبدو أن ذلك الهجوم سيؤدي إلى امتداد التوتر خارج إدلب، حيث تتجه موسكو للضغط على أنقرة ودفعها لسحب قواتها من منطقتي ”درع الفرات“ و”غصن الزيتون“، فيما تحاول أنقرة فتح قنوات التواصل مع موسكو للتوصل إلى اتفاق يمكنها من تنفيذ انسحاب تدريجي من لقواتها، خاصة وأن الدول الغربية لا تبدو مستعدة للوقوف إلى جانب حليفها في ”الناتو“، وترغب في التريث ريثما يتضح مسار الأزمة بين موسكو وأنقرة.

وفي دراسة أخرى نشرها الموقع في اليوم نفسه، بعنوان: (go to war over Syria's Idlib?) (Will Russia, Turkey)، رأى الباحث (Maxim A. Suchkov) أن الوضع يتجه نحو التصعيد، حيث رفضت موسكو الاعتراف بدورها أو الاعتذار عن حادثة قتل الجنود الأتراك، وادعت وزارة الدفاع الروسية أنها كانت على اتصال دائم مع النظراء الأتراك لتحديد مكان وجود القوات التركية، وأنه بناء على المعلومات التي قدموها لم يكن هنالك تواجد للجنود الأتراك في المنطقة التي تم استهداف ”جماعات إرهابية“ فيها، وجاء ذلك الموقف المتعنت بالتزامن مع إرسال فرقاطتين من أسطول البحر الأسود؛ ”أدميرال ماكاروف“ و”أدميرال غريغوروفيتش“، المزودتان بصواريخ ”كاليبر“، إلى البحر الأبيض المتوسط.

ودفع ذلك التصعيد أردوغان للضغط على الأوروبيين من خلال دفع نحو 80 ألف لاجئاً نحو الحدود اليونانية، والدعوة إلى عقد اجتماع طارئ لحلف شمال الأطلسي.

ونقل الباحث عن رئيس تحرير مجلة ”الترسانة الوطنية“ الروسية، العقيد المتقاعد فيكتور مورخاوفسكي، قوله إن الهجمات التي تنفذها ضد القوات التركية تهدف إلى تأكيد الخطوط الحمراء التي التزم بها الأتراك لفترة طويلة لكنهم قرروا مخالفتها في الأيام الماضية بهدف تغيير قواعد اللعبة، ويتضمن الاتفاق الروسي-التركي:

- 1- منع وقوع اشتباك بين الجيشين الروسي والتركي.
- 2- حرية الحركة للقوات الجوية الروسية ضد ”الجماعات الإرهابية“ في إدلب.
- 3- حظر طيران القوات الجوية التركية في سماء سوريا.
- 4- تنسيق حركة ونشر الوحدات التركية داخل الأراضي السورية مع القيادة العسكرية الروسية.
- 5- تسيير دوريات مشتركة في الطرق المتفق عليها.
- 6- الامتناع عن تسليم المعارضة صواريخ دفاع جوي (DAPNAM)، والتي تم استخدامها في الآونة الأخيرة ضد الطائرات الروسية بإدلب.

وفي اللقاءات المتكررة التي عُقدت في الآونة الأخيرة بين الأتراك والروس؛ شعرت موسكو أن أنقرة غير راغبة في الالتزام بتوافقات "سوتشي 2018"، والتي نصت على فصل الجماعات "المتمردة" عن الجماعات "الإرهابية"، وفتح طريقي (4-M) و(5-M)، ودفع ذلك ببوتين لعقد لقاءات مكثفة على مستوى القيادة العسكرية لمناقشة السيناريوهات المحتملة إزاء الموقف التركي "المتعنت"، وما يمكن أن ينتج عنه من خروج الأمور عن السيطرة، والتسبب باندلاع صراع إقليمي واسع النطاق، خاصة وأن أنقرة: "تمتلك قوة عسكرية كافية للقضاء على جيش النظام في غضون أيام"، وقد يؤدي عدم تدخل موسكو إلى تضييع خمس سنوات من الجهود المضنية التي تم بذلتها لتثبيت حكم بشار الأسد، وإلى المزيد من التدخل الخارجي الغربي في الشأن السوري.

وفي حال استمرار الصراع؛ رأى الباحث أن أنقرة تمتلك الكفة الراجحة في العدة والعتاد، كما أن مجاورتها لسوريا تساعدها على التحكم بمسار الصراع، خاصة وأن موسكو بعيدة عن مسرح العمليات، ولن يكون العامل الزمني واللوجستي لصالحها، إذ إنها لا تمتلك القدرة على جلب العدد الكافي من الجنود لترجيح كفة صراع شرق أوسطي في حال اندلاع حرب معلنة بين دمشق وأنقرة. مؤكداً أنه: "إذا أرادت روسيا كسب الحرب فستحتاج إلى نقل أعداد كبيرة من الطائرات وكميات ضخمة من الوقود والذخائر، ونظراً لتعذر ذلك؛ رأى بوتين أن الوسيلة الأنجع لتفادي الصراع هي تنفيذ عملية محدودة ضد القوات التركية، وإتباع ذلك باتفاق تهدئة يهدف إلى صياغة قواعد أخرى للعبة ورسم خطوط جديدة للتماس، ونقل الباحث عن مصدر في الحكومة الروسية، اشترط عدم ذكر اسمه، قوله: "لا نريد حرباً، بل نرغب في العمل مع بعضنا البعض، ونريد من شركائنا في أنقرة أن يحترموا مخاوفنا وأن يأخذوا التزاماتهم على محمل الجد، لقد ذهبنا للعبة هذه إلى حد بعيد جداً".

وبينما يقوم الطرفان بتصعيد الموقف العسكري، يدور الحديث في الأروقة المدنية حول ضرورة الإبقاء على الشراكة الروسية-التركية، والحفاظ على مشاريع: التجارة المشتركة، والطاقة، والبرامج النووية، وصفقة "إس-400"، وغيرها من المصالح والاستثمارات الكبيرة بين البلدين.

وفي دراسة تبرر تخاذل الموقف الغربي إزاء معاناة الملايين في سوريا، واستمرار الولايات المتحدة في خذلان الحليف التركي؛ رأى مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد "فورين بوليسي"، آرون شتاين، في مقال بعنوان "Cleaning up Turkey's mess in Idlib and Ending the War" أن واشنطن لا تبدو راغبة بالتدخل في الصراع المحتدم شمال غربي سوريا، وذلك على الرغم من تهجير مئات آلاف السوريين نحو الحدود السورية-التركية، ومضي بوتين في حملته دون أن يلقي بالاً للخسائر البشرية الفادحة أو لمخاوف أردوغان، وذلك نظراً للقناعة السائدة في واشنطن بإمكانية حرمان النظام السوري من تحقيق النصر عبر الحصار الاقتصادي، ومضاعفة المصاعب المالية، ودفع بشار الأسد من خلال ذلك للموافقة على تسوية سياسية.

إلا أن الموقف في موسكو ودمشق يبدو مختلفاً تماماً، حيث يحاول الطرفان حسم المعركة نهائياً لصالح الأسد من خلال شن المزيد من العمليات العسكرية المستمرة منذ تسع سنوات.

ويبدو موقف أنقرة مناقضاً لموقف واشنطن التي يرى الباحث أنها يجب أن تضغط على تركيا للتفاوض على استسلام المعارضة، معتبراً أن الدعم التركي للجماعات المسلحة في إدلب يطيل أمد الحرب، إلا إنه لن يغير نتيجتها.

وفيما يبرر موقف واشنطن المتخاذل إزاء حليفها في حلف شمال الأطلسي؛ يرى شتاين أن قوات النظام السوري لا قبل لها بمواجهة القوات التركية، إلا أن المسالة تختلف في إدلب التي يُعتبر التصعيد العسكري فيها موجهاً بصورة مباشرة ضد موسكو، والتي ستلجأ إلى زيادة التصعيد بعدة طرق، منها؛ قصف خطوط الإمداد، وتوسيع دائرة القتال ليشمل المناطق التي تسيطر عليها القوات التركية على طول الحدود السورية-التركية، والتسبب بموجات لجوء ضخمة تهدد الأمن القومي التركي.

واعتبر شتاين أن إدلب ليست المكان المناسب بالنسبة إلى واشنطن لتحدي روسيا، خاصة وأن تركيا لا تشترك مع حلفائها في "الناتو" إلا بقليل من المصالح، ولا يعتبر حلف شمال الأطلسي الحرب السورية قضية مهمة له، إذ إنه لا يصنفها ضمن البند السادس من ميثاق الحلف -المعني بالسلامة ضمن الحدود الوطنية والتحرر من الخوف والعوز- كما أن دعم تركيا للمعارضة يمثل مشكلة لأوروبا والولايات المتحدة نتيجة سيطرة "هيئة تحرير الشام" المرتبطة بتنظيم "القاعدة" على إدلب.

ومن غير المحتمل أن يُقدم الغرب على فعل شيء آخر سوى إدانة موسكو، في حين تعلم أنقرة أن الولايات المتحدة لن تتدخل في سوريا، ذلك أن ترامب قد ضَيَّق الأهداف الأمريكية في سوريا، وحصرها بحراسة حقول النفط وشن عمليات مكافحة الإرهاب، وتبدو خيارات واشنطن محدودة للغاية في تلك المنطقة.

وفي براغماتية مفرطة؛ رأى شتاين أن الخيار "الأقل سوءاً" إزاء التصعيد العسكري في إدلب، هو إقناع أنقرة بعدم قدرتها على الاستمرار في حماية "الجماعات المسلحة" إلى الأبد، والقبول باستسلامها وبعودة المحافظة لقبضة النظام، والدفع باتجاه تقليل معاناة المدنيين التي ستتبغ ذلك الاستسلام عبر إشراك روسيا في صياغة اتفاقية تتضمن وقفاً دائماً لإطلاق النار دون اشتراط تنحي الأسد.

ورأى شتاين أنه من غير المصلحة بالنسبة للولايات المتحدة أن تتورط القوات المسلحة التركية في حرب مُشَيِّتة وغير قابلة للكسب، ويمكن لاستمرارها أن يزيد من حجم الخسائر البشرية، معتبراً أن وقف إطلاق النار يبدو إستراتيجية منطقية تمنع موت المزيد من المدنيين، وأنه على الولايات المتحدة عدم دعم "التمرد" ضد نظام بشار الأسد، والاكتفاء بمضاعفة المساعدات الإنسانية لتخفيف عبء موجة النزوح الجديدة على تركيا.



Strategy
W A T C H



المرصد
الإستراتيجي

ترجمات

توفير خدمات الترجمة ونشر التقارير والأبحاث ذات الأهمية السياسية والعسكرية في الشأنين السوري والخليجي.

3 مارس 2020

المرصد الإستراتيجي

بيت خبرة رائد في تقديم الخدمات المتخصصة للعاملين في المجالات السياسية والأمنية بالمنطقة العربية.

يعمل على تعزيز المفاهيم الاحترافية لدى الجيل الجديد من العاملين في الشؤون السياسية والأمنية في العالم العربي، ورفع صناع القرار بمعلومات نوعية بجودة عالية ومهنية تستند إلى الموضوعية والحياد والاستقلالية، بعيداً عن مؤثرات الإيديولوجيا الطارئة ومعارك الاستقطاب الإقليمي.

www.strategy-watch.com